

تفسير ابن كثير

فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا^ج فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ

(فلما آتاهما صالحا جعل لهما شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون) ذكر المفسرون

هاهنا آثارا وأحاديث سأوردها وأبين ما فيها ، ثم نتبع ذلك بيان الصحيح في ذلك ، إن

شاء الله وبه الثقة . قال الإمام أحمد في مسنده : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عمر بن

إبراهيم ، حدثنا قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "

ولما ولدت حواء طاف بها إبليس - وكان لا يعيش لها ولد - فقال : سميه عبد الحارث ؛

فإنه يعيش ، فسمته عبد الحارث ، فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره " . وهكذا

رواه ابن جرير ، عن محمد بن بشار بن بدار ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، به . ورواه

الترمذي في تفسيره هذه الآية عن محمد بن المثنى ، عن عبد الصمد ، به وقال : هذا

حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم ، عن قتادة ، ورواه بعضهم

عن عبد الصمد ، ولم يرفعه . ورواه الحاكم في مستدركه ، من حديث عبد الصمد مرفوعا

ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم

في تفسيره ، عن أبي زرعة الرازي ، عن هلال بن فياض ، عن عمر بن إبراهيم ، به مرفوعا . وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث شاذ بن فياض ، عن عمر بن إبراهيم ، به مرفوعا قلت : " وشاذ " [هذا] هو : هلال ، وشاذ لقبه . والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه : أحدها : أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري ، وقد وثقه ابن معين ، ولكن قال أبو حاتم الرازي : لا يحتج به . ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر ، عن أبيه ، عن الحسن ، عن سمرة مرفوعا فالله أعلم . الثاني : أنه قد روي من قول سمرة نفسه ، ليس مرفوعا ، كما قال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا المعتمر ، عن أبيه . وحدثنا ابن علية عن سليمان التيمي ، عن أبي العلاء بن الشخير ، عن سمرة بن جندب ، قال : سمى آدم ابنه " عبد الحارث " . الثالث : أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا ، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعا ، لما عدل عنه . قال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن : (جعلنا له شركاء فيما آتاهما) قال : كان هذا في بعض أهل الملل ، ولم يكن بآدم حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال : قال الحسن : عنى بها ذرية آدم ، ومن

أشرك منهم بعده - يعني : [قوله] (جعلاً له شركاء فيما آتاهما) وحدثنا بشر حدثنا يزيد ،

حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول : هم اليهود والنصارى ، رزقهم الله

أولاداً ، فهودوا ونصروا وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن ، رحمه الله ، أنه فسر الآية

بذلك ، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية ، ولو كان هذا الحديث عنده

محفوظاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما عدل عنه هو ولا غيره ، ولا سيما مع

تقواه الله وورعه ، فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي ، ويحتمل أنه تلقاه من بعض

أهل الكتاب ، من آمن منهم ، مثل : كعب أو وهب بن منبه وغيرهما ، كما سيأتي بيانه

إن شاء الله [تعالى] إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع ، والله أعلم . فأما الآثار فقال محمد

بن إسحاق بن يسار ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كانت

حواء تلد لآدم ، عليه السلام ، أولاداً فيعبدهم الله ويسميه : " عبد الله " و " عبيد الله " ،

ونحو ذلك ، فيصيبهم الموت فأتاها إبليس وآدم فقال : إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه

به لعاش قال : فولدت له رجلاً فسماه " عبد الحارث " ، ففيه أنزل الله ، يقول الله : (هو

الذي خلقكم من نفس واحدة) إلى قوله : (جعلاً له شركاء فيما آتاهما) إلى آخر

الآية .وقال العوفي ، عن ابن عباس قوله في آدم : (هو الذي خلقكم من نفس واحدة)
إلى قوله : (فمرت به) شكت أحبلت أم لا ؟ (فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا
صالحا لنكونن من الشاكرين) فأتاهما الشيطان ، فقال : هل تدریان ما یولد لکما ؟ أم هل
تدریان ما یكون ؟ أبهیمة یكون أم لا ؟ وزین لهما الباطل ؛ إنه غوی مبین ، وقد كانت
قبل ذلك ولدت ولدين فماتا ، فقال لهما الشيطان : إنكما إن لم تسمياه بي ، لم يخرج
سويا ، ومات كما مات الأولان فسميا ولدهما " عبد الحارث " ، فذلك قول الله [تعالى
[(فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) الآية .وقال عبد الله بن المبارك ، عن
شريك ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس في قوله : (فلما آتاهما صالحا
جعلا له شركاء فيما آتاهما) قال : قال الله تعالى : (هو الذي خلقكم من نفس واحدة
وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها) آدم (حملت [حملا خفيفا]) فأتاهما
إبليس - لعنه الله - فقال : إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعني أو لأجعلن
قرني له أيل فيخرج من بطنك فيشقه ، ولأفعلن ولأفعلن - يخوفهما - فسمياه " عبد الحارث
" فأبيا أن يطيعاه ، فخرج ميتا ، ثم حملت الثانية ، فأتاهما أيضا فقال : أنا صاحبكما الذي

فعلت ما فعلت ، لتفعلن أو لأفعلن - يخوفهما - فأيا أن يطيعاه ، فخرج ميتا ، ثم حملت
الثالثة فأتاهما أيضا ، فذكر لهما ، فأدركما حب الولد ، فسمياه " عبد الحارث " ، فذلك
قوله : (جعلنا له شركاء فيما آتاهما) رواه ابن أبي حاتم . وقد تلقى هذا الأثر عن ابن
عباس جماعة من أصحابه ، كمجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة . ومن الطبقة الثانية :
قتادة ، والسدي ، وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف ، ومن المفسرين من
المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة ، وكأنه - والله أعلم - أصله مأخوذ من أهل
الكتاب ، فإن ابن عباس رواه عن أبي بن كعب ، كما رواه ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ،
حدثنا أبو الجماهر حدثنا سعيد - يعني ابن بشير - عن عقبة ، عن قتادة ، عن مجاهد ، عن
ابن عباس ، عن أبي بن كعب قال : لما حملت حواء أتاها الشيطان ، فقال لها : أتطيعيني
ويسلم لك ولدك ؟ سميته " عبد الحارث " ، فلم تفعل ، فولدت فمات ، ثم حملت فقال
لها مثل ذلك ، فلم تفعل . ثم حملت الثالث فجاءها فقال : إن تطيعيني يسلم ، وإلا فإنه
يكون بهيمة ، فهيبهما فأطاعا . وهذه الآثار يظهر عليها - والله أعلم - أنها من آثار أهل
الكتاب ، وقد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا حدثكم

أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم " ، ثم أخبرهم على ثلاثة أقسام : فمنها : ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله . ومنها ما علمنا كذبه ، بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضا . ومنها : ما هو مسكوت عنه ، فهو المأذون في روايته ، بقوله ، عليه السلام : " حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج " وهو الذي لا يصدق ولا يكذب ، لقوله : " فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم " . وهذا الأثر : [هل] هو من القسم الثاني أو الثالث ؟ فيه نظر . فأما من حدث به من صحابي أو تابعي ، فإنه يراه من القسم الثالث ، وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري ، رحمه الله ، في هذا [والله أعلم] وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء ، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ؛ ولهذا قال الله : (فتعالى الله عما يشركون) ثم قال :